الخطبة رقم ٢

الحج ومقاصده العظيمة

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ، أحمده تعالى وأشكره واستعينه واستغفره وأتوب إليه واستزيده من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله وتشريعه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبلغ عن الله وعده ووعيده صلى الله عليه وسلم .

أما بعد أيها الناس : يقول الله تعالى في سورة الحج وفي مطلعها.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ *أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ* ﴾ عزاب يوم الحشر والميعاد يوم القيامة . يوم يبعث من في القبور، ويحصد ما في الصدور، ذلك يوم التغابن ، ويوم الحاقة ، ويوم الطامة .

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وعن أخبار الساعة وفي أحاديث يوم القيامة أقرءوا كتاب ربكم فسيجد العليل دوائه ، والمريض شفاءه ، وكلنا ذلك العليل المريض، ولعل الصورة المنتزعة من أعمال الحج تعطيك صورة

مصغرة عن ذلك اليوم العظيم ، فالحشد الكبير واختلاف العناصر والأجناس ، والوفد من حدب ووحدة المظاهر والمشاعر والتزاحم في أمكنة الزحام وشدة الحر في يوم الصيف ، كل هذه تذكر المسلم بيوم العرض الأكبر على الله وتعطي الدرس المحسوس لدروس المغيبات مما أخبر الله ورسوله ، ووجب الإيمان بها إجمالاً وتفصيلاً . ثم يستأنف القرآن في السورة الكريمة الخبر عن البيت الحرام فيقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. * إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) وفي سورة آل عمران (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ .. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

أيها المسلمون: من الآيات البينات نأخذ بعض أحكام التشريع لهذا الركن العظيم . حج بيت الله الحرام ، فالصد عن سبيل الله كفر

بالله وكذلك الصد عن المسجد الحرام سواء كان الصد مباشراً بالقوة والسلاح أو بالدعاية وترويج ما يكرهه الحاج كإشاعة أمراض فتاكة في بيئة الحج ليثني عزم الحجاج ويحجزهم عن أداء الواجب . ومن الأحكام سواسية الناس في الحرم بين حاضر وباد ، أي مقيم ومسافر لا فرق بين مواطن ووافد من بعيد ، فالجنسية هي الإسلام وهوية المسلم التوحيد ووطنه كل أرض تعلن فيها شعائر الإسلام ويذكر فيها اسم الله ، وحتى لا يجرؤ العابثون المخربون على الخبث والإجرام ، فقد أنذرهم الله (*وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*) .

وقديماً قال عبد المطلب: (وللبيت رب يحميه) ، وفي قوله تعالى : (*وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ* أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا *وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ*) إشارة لاختيار الله هذا المكان وتفضيله على ما سواه ليكون مثابة للناس وأمناً .

وفي الآيات يأمر الله الخليل بتطهير المسجد الحرام للوافدين إليه بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى . وكما أن للنجاسة معنيان حسية ومعنوية، فإن ذلك شامل أمر الله تعالى لخليله ومن على سنته بتطهير المسجد الحرام من الأنجاس الحسية والمعنوية . وفي

قوله تعالى (*لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ*) يجب أن يقف المسلم عندها طويلاً ليستنتج المكاسب والمنافع من طرقها المشروعة . قال العلماء " منافع الدنيا والدين " فهل استثمرنا هذه المنافع ، هذا ما ينبغي أن نحاسب أنفسينا عليه ونسألها عنه . وإنا والله لمسئولون أن الحج تشريع رباني إلهي لا يعتريه النقص ولا يشوبه العجز عن مطالب المسلمين لصالح دنياهم ودينهم ، ولكن تفكك عرى الإخاء وانفصام حلقة الاتصال، وعزوف الناس عن مصلحة الجماعة سبب اندثار التعاون ووحشة الأفراد ، لذلك فشلت الأعمال وتلاشت جدية المطالب بالمكاسب في أيام الحج .

عباد الله .. اتقوا الله تعالى حق التقوى .. وتلقوا أوامر الله بالقبول والانقياد والإتباع وأصلحوا نياتكم في جميع الأعمال والأقوال ، وليحذر المسلم من عبادة تقليدية لا يصحبها نية ولا معرفة لأحكامه ، واعملوا في سبيل الله واحذروا الصد عن سبيله ، وعظموا شعائر الله ، فإن تعظيمها من تقوى القلوب ، وطهروا بيت الله ، وأسعوا في خدمة حجاج بيته كل على حسبه وطاقته، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً ودعوة مستجابة . اللهم طهر بلاد المسلمين من عناصر الكفر ومردة الملحدين ، اللهم أرفع راية الإسلام وأعز المسلمين يا رب العالمين .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الحمد لله العلي القدير السميع البصير المطلع على الكبير والصغير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صدق وإخلاص وإذعان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد: أيها الناس: يلزم لكل عمل شرعي أن يتوفر فيه شرطان أساسيان ، الإخلاص والمتابعة ، وبهذين الشرطين يكون العمل مقبولاً عند الله ويكتب للعامل ثوابه وجزاءه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه.. ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" أي مردود على صاحبه. وإن

أعمال الحج تبنى على العبادة المالية والبدنية ، فعلى المسلم الإخلاص، لا يبتغي غير وجه الله والدار الآخرة ، ثم عليه الإتباع و الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إجمالاً وتفصيلاً .

ثم اعلموا عباد الله أنكم مقبلون على شهر عظيم .. شهر ذي الحجة ، وفي العشر الأوائل منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام " يعني أيام العشر، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " .

يا لها من أيام مباركة عند الله عز وجل ، الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، فصيام يوم منها يعدل صيام سنة والحسنة تضاعف بسبعمائة ضعف .

فاتقوا الله ، واغتنموا الفرص وبادروا بالأعمال الصالحة ، وتزودوا للدار الآخرة ، إن الله وملائكته يصلون على النبي .. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ، اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين.